الفصل الثالث

المعوذتان

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾[الفلق: ١-٥].

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾

[الناس: ١-٦]

سورة الفلق

التفسير:

بعد أن حدد الله معالم الألوهية والوحدانية فى سورة الإخلاص بيّن فى سورة الفلق ما يجب على المصطفى أن يتعوذ به (بالله) منه، والفلق هو كل ما انفلق من جميع ما خلق من الحيوان والصبح والحب والنوى وكل شىء من نبات أو غيره .

﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ أى من شر جميع المخلوقات ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ قال مجاهد غسق الليل إذا وقب غروب الشمس حكاه البخارى عنه، وقال الحسن وقتادة: إنه الليل إذا أقبل بظلامه، وقال الزهرى: الشمس إذا غربت، وعن عطية وقتادة: إذا وقب الليل: إذا ذهب، وقيل: القمر، لما رواه الترمذى والنسائى من حديث عائشة قالت أخذ رسول الله ﷺ بيدى فأرانى القمر حين طلع وقال: «تعوّذى بالله من شر الغاسق إذا وقب» وقال أصحاب القول الأول: وهو آية الليل إذا ولج[1] هذا لاينافى قولنا لأن القمر آية الليل ولايوجد له سلطان إلا فيه، وكذلك النجوم لاتضىء إلا بالليل فهو يرجع إلى ما قلناه، ومما يعضّد هذا الرأى أن الليل بظلامه وسكونه وحلوله وبرده ودخوله مدعاة ليسوّل

(١) ولج : دخل

للإنسان ارتكاب الشرور والآثام والمعاصى والسيئات، والله أعلم. ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ وهن النساء السواحر اللاتى ينفثن فى الخيط الذى يعقدنه وينفخن فيه بقولهن، بريق وبغير ريق، يفسدن ما بين الأزواج الأحبة من علامات الوداد والصفاء، ويشعلن بينهم الفرقة والبغضاء. ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ والحاسد هو الذى يتمنى زوال نعمة الغير، ويلاحظ أن هذه الأمور الأربعة، المتُعوذ منها، قد ذُكرت فى سورة الفلق مرتين:

الأولى: إجمالاً فى قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾.

الثانية: تفصيلاً فى قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

وذكر هذه الأمور الثلاثة إجمالاً وتفصيلاً دليل على الاهتمام بها، والاعتناء بشأنها، وذلك لكثرة وقوعها، وعظم خطرها وشرها وتعرض الناس لها. كما أن الاستعاذة من هذه الأمور والبعد عنها وتجنبها هى أعظم ما يتمناه الإنسان فى حياته لأن المرء إذا اطمأن على نفسه فى زمانه ومكانه، وسلم من السحرة والسواحر، ومن شر الحاسدين الحاقدين كان كمن حيزت له الدنيا بحذافيرها، وكان كمن سبقت له السعادة كلها.

بقى هنا سؤالان:

السؤال الأول: قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ عام فى كل ما يُستعاذ منه، فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد؟. الجواب: تنبيهاً على أن هذه الشرور أعظم أنواع الشر.

السؤال الثانى: لِمَ عرّف بعض المستعاذ منه ونكّر بعضه؟. الجواب: عرّف النفاثات لأن كل نّفاثة شرِّيرة، ونكّر غاسقاً لأنه ليس كل غاسق شريراً، وأيضاً ليس كل حاسد شريراً، بل رُبَّ حسد يكون محموداً، وهو الحسد فى الخيرات[1] وهو حسد الغبطة، وهو تمنى أن يكون له مثل حال المحسود من غير

(١) الفخر الرازى: جـ(٣١-٣٢)/ ١٧٩.

أن تزول النعمة عنه، فهذا لا بأس به، ولا يُعاب صاحبه، بل هو قريب من المنافسة، وفى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل أتاه الله مالاً، وسلّطه على هلكته فى الحق، ورجل أتاه الله الحكمة، فهو يقضى بها ويعلمها الناس»(١).

والله سبحانه وتعالى أعلم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة الناس

التفسير:

أما السورة الثانية وهى سورة الناس مكية، وقد نزلت بعد سورة الفلق، وفيها يأمر المولى نبيه محمداً ﷺ أن يتعوذ به تعالى ثلاث مرات من شىء واحد وهو الشيطان الرجيم. قال الله تعالى:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾[الناس: ١-٦].

هذه ثلاث صفات من صفات الرب عز وجل: الربوبية والمُلْك والألوهية، فهو رب كل شىء ومليكه وإلهه باعتبار وحدانيته وألوهيته الجامعة لجميع النعوت وسائر صفات الكمال، فجميع الأشياء له مملوكة عبيد له، فأمر المستعيذ أن يتعوذ به تعالى ﴿من شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بنى آدم إلا وله قرين يزيّن له الفواحش، ولايألوه جهداً فى الخبال، والمعصوم من عصمة الله، وقد ثبت فى الصحيح أنه: «مامنكم من أحد إلا وقد وكلّ به قرينه» قالوا وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير»، وقال ابن عباس فى قوله: ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس إليه،

(١) التفسير القيم لابن القيم: ٩/ ٥٨٤.

فإذا ذكر الله خنس، وقيل ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ الموسوس من شياطين الجن والإنس، ﴿الْخَنَّاسِ﴾ المتوارى المختفى ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ أى الذى يُلقى لشدة خبثه فى قلوب البشر صفوف الوساوس والأوهام، قال القرطبى: ووسوسته هو الدعاء لطاعته بكلام خفى يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت(١) ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ تفسير الذى يوسوس فى صدور الناس من شياطين الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[الأنعام: ١٢٢]، ولا شك أن شياطين الإنس أشد فتكاً وخطراً من شياطين الجن، فإن شيطان الجن يخنس بالاستعاذة، وشيطان الإنس يزّين له الفواحش ويغريه بالمنكرات، ولا ينهيه عن عزمه شئ، والمعصوم من عصمه الله.

لطيفة : المستعاذ به فى السورة الأولى مذكور بصفة واحدة وهى أنه رب الفلق، والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات، وهى الغاسق، والنفاثات، والحاسد، وأما فى هذه السورة، فالمستعاذ به مذكور بصفات ثلاث: وهى الرب والملك والإله، والمستعاذ منه آفة واحدة، وهى الوسوسة، والفرق بين الموضعين أن الثناء يحب أن يتقدر بقدر المطلوب، فالمطلوب فى السورة الأولى: سلامة النفس والبدن، والمطلوب فى السورة الثانية سلامة الدين، وهذا تنبيه على أن مضرّة الدين وإن قلّت أعظم من مضار الدنيا وإن عظمت، والله سبحانه وتعالى أعلم(٢).

أسباب النزول : أخرج البيهقى فى دلائل النبوة من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قوله: مرض رسول الله ﷺ مرضاً شديداً فأتاه ملكان، فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه: ما ترى؟ قال: طُبّ قال : وما طُبّ؟ قال: سُحر، قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودى، قال أين هو؟ قال: فى بئر آل فلان تحت صخرة

(١) القرطبى : ٢٠/ ٢٦٣.

(٢) الفخر الرازى : جـ (٣١-٣٢) / ١٨٢.

فى ركية، فأتوا الرُّكية «البئر» فانزحوا ماءها، وارفعوا الصخرة ثم أخذوا الركية وأحرقوها، فلما أصبح رسول الله ﷺ بعث عمار بن ياسر فى نفر، فأتوا الركية فإذا ماؤها مثل ماء الحناء، فنزحوا الماء ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الركية وأحرقوها، فإذا فيها وتر فيه إحدى عشر عقدة، وأُنزلت عليه هاتان السورتان فجعل كلما قرأ آيه انحلت عقدة. **«قل أعوذ برب الفلق، قل أعوذ برب الناس»** ولأصله شاهد فى الصحيح بدون نزول السورتين وله شاهد بنزولهما، وأخرج أبو نعيم فى الدلائل من طريق أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك قال: صنعت اليهود لرسول الله ﷺ شيئا، فأصابه من ذلك وجع شديد فدخل عليه أصحابه فظنوا أن ألماً به، فأتاه جبريل بالمعوذتين فعوّذه بهما فخرج إلى أصحابه صحيحاً، وروى الإمام أحمد عن زيد بن الأرقم قال: «سحر النبى ﷺ رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما قال: فجاءه جبريل فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك وعقد لك عقداً فى بئر كذا وكذا، فأرسل إليها من يجىء بها، فبعث رسول الله ﷺ من استخرجها فجاءه بها، فحلها، قال فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال، فما ذكر ذلك لليهودى ولارآه فى وجهه حتى مات».

قال القاضى عياض: «والسحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل، يجوز عليه ﷺ كأنواع الأمراض، مما لا ينكر ولا يقدح فى نبوّته. وأما كونه يخيّل إليه أنه فعل الشىء ولم يفعله، فليس فى هذا ما يدخل عليه داخلة فى شىء من صدقه، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا. وإنما هذا فيما يجوز طروُّه[1] عليه فى أمر دنياه التى لم يبُعث لسببها، ولأفُضِّل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أنه يخيل إليه من أمورها مالا حقيقة له، ثم ينجلى عنه كما كان» أ. هـ.

فالسحر وقع برسول الله ﷺ، والأخبار وارده بذلك عنه ﷺ متواترة

(١) كذا بالزاد (١٠٤) وفى الأصل «طرده» هو تصحيف

وآحاداً.. وأن السحر عمل فيه.. وأنه لما استُخرج زال عن النبى ﷺ ذلك العارض وأنزل المعوذتين بسببه، وهو ابتلاء الله له للتأسى به كسائر ما ابتُلى به فمن ينكر ذلك على ما ثبت فى الصحيحين عن رسول الله فهو على غير هدى وعلى غير صواب.

وقد حذر القرآن الكريم من السِّحر. ونعى على الساحرين حالهم. وعرَّفنا بعاقبتهم الوبيلة.. وشرح لنا فسادهم.. فهم مفسدون فى الأرض، وأن السَّاحر مهما بلغت درجة سحره فلا يفلح أبداً ﴿وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[طه:٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[البقرة:١٠٢].

قال الإمام النووى فى شرحه لصحيح مسلم: «عمل السحر وتعلّمه وتعليمه حرام.. وهو من الكبائر بالإجماع، والرسول ﷺ عَدّه من الموبقات السبع».

قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات - أى المهلكات - قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال: الشِّرك بالله، والسِّحر، وقتل النفس التى حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(١).

علاج المسحور

يقول ابن القيم: والمقصود ذكر هديه ﷺ فى علاج هذا المرض.. وقد روى عنه نوعان: احدهما؛ وهو أبلغهما: استخراجه وتبطيله. كما صحَّ عنه ﷺ: أنه سأل ربه سبحانه فى ذلك فدُلّ عليه، فاستخرجه من بئر، فكان فى مشط ومشاطة(٢) وجُفّ طَلْعَةَ ذَكَرٍ(٣)، فلما استخرجه. ذهب ما به حتى كأنما نشط من عقال: فهذا من أبلغ ما يُعالج به المطبوب (المسحور).

---

(١) أخرجه الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة.
(٢) مشاطة رأس النبى ﷺ وعدة من أسنان مشطه ﷺ.
(٣) الجُفُّ: وعاء الطَّلع.

الثانى: ومن أنفع علاجات السحر: الأدوية الإلهية، بل هى أدويته النافعة بالذات وللوقاية من السِّحر وأضراره قبل وقوعه؛ قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين، فعن عبد الله بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شىء» وعن عقبة أن النبى ﷺ قال «يا عقبة ألا أعلمك خير سورتين قُرئتا؛ قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس.. يا عقبة اقرأهما كلما نمت وقمت ما سأل سائل، ولا استعاذ مستعيذ بمثلها»(١).

ويقول ابن القيم فى زاد المعاد «من لم يشفه القرآن فلا شفاه الله ومن لم يكفه فلا كفاه الله».

ورد فى الأثر أن هذه الرقية نافعة بإذن الله لإبطال السِّحر «اللهم إنك قد أقدرت بعض خلقك على السحر والشر ولكنك احتفظت لذاتك بإذن الضُرّ، وإنى أعوذ بما احتفظت به مما أقدرت عليه بحق قولك سبحانك ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

دعاء لإبطال السحر بالمنازل (مجرّب)

تتوضأ وتصلى ركعتين لله تعالى، ثم تقرأ فى إناء فيه ماء سورة يس، وهذا الدعاء «أسألك اللهم بحق يس، وقدرة يس، وقوة يس، وعظمة يس، وفضل يس، وكرامة يس، وسرِّ يس، أن تبطل سحر الساحرين ومكر الماكرين وكيد الكائدين، ووسوسة الشياطين بحق كلامك الكريم، وبحق قوة لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم» وتنثر ما بالإناء من الماء على بركة الله فيبطل السحر بإذن الله تعالى.

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (٥/ ٣١٢)، وابن أبى داود فى السنن رقم (١٠٩) باب الاستعاذة، والنسائى باب الاستعاذة رقم (١)، والترمذى برقم (٣٥٧٥)، وكنز العمال برقم (٢٦٧٠).

علاج السحر بالنشرة

قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور وهى نوعان: حل بسحر وهو الذى من عمل الشيطان وعليه يحمل عليه قول الجن فيقترب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور، والثانى: النشرة بالرقية، والتعوذات والأدوية المباحة فهذا جائز.

صفة النشرة الجائزة: ما رواه ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ليث أبى سليم قال: بلغنى أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تقرأ فى أناء به ماء ثم تصب على رأس المسحور الآية التى فى سورة يونس ﴿ **فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ إلى قوله ﴿ **وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ** ﴾ [يونس: ٨١، ٨٢]، وفى سورة الأعراف من قوله تعالى: ﴿ **فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١١٨] إلى آخر أربع آيات. ثم ﴿ **إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ** ﴾ [طه: ٧٠].

العلاج بالسدر

التفريق بين الزوجين: وقال ابن بطال: فى كتاب وهب بن منبه أنه يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر(١) فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسى والقواقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله، ولله الحمد قد جرب هذا العلاج على العديد من المصابين ونفع نفعاً بليغاً بفضل الله حتى فى الطلاق وعدم عقد النكاح. قال عبد الرازق: وقال الشعبى: لا بأس بالنشرة(٢) العربية التى لا تضر إذا وطئت. والنشرة العربية: أن يخرج الإنسان موضع عضاه فيأخذ عن يمينه وشماله من كل عشر(٣) يدقه ويقرأ فيه ثم يغتسل به(٤) وفى كتب وهب: أن

---

(١) السدر: شجر النَّبْق.

(٢) رقى وتعاويذ مشروعة لا رقى محرمة كحل السحر بسحر مثله.

(٣) وقد جرب سبع ورقات من سدر أخضر ونفع للذى لا يصل إلى جماع زوجته.

(٤) نقله الحافظ من هنا فى الفتح ١٠: ١٨٣.

تؤخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه فى الماء ويقرأ فيه آية الكرسى وذات قل ثم يحسو ثلاث حسوات ويغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله.

والقواقل هى قل يا أيها الكافرون، وسورة قل هو الله أحد، وسورة قل أعوذ برب الفلق، وسورة قل أعوذ برب الناس.

أثر عن عائشة لفك السحر

وهذا الحديث له فائدة كبيرة لفك السحر وقد جاء بسند صحيح، عن عائشة رضى الله عنها زوج ﷺ أنها أعتقت جارية لها عن دُبُرٍ مِنْهَا، ثم أن عائشة مرضت فدخل عليها سِنْدِيٌّ، فقال: إنك مطبوبة؟ فقالت: من طَبَّنى: قال: أمرأة من نعتها كذا وكذا، وقد بال فى حجرها صبى، فقالت عائشة: أدعو لى فُلانة لجارية تَخْدُمُها، فوجدوها فى بيت جيران لها، فى حجرها صبى قد بَالَ، فقالت: حتى ما أغسل بول هذا الصبى، فغسلته ثُمَّ جاءت. فقالت لها عائشة: أسحرتينى؟ فقالت: نعم. فقالت: لم؟ أُحْبَبْتُ العتق، قالت عائشة: والله لا تعتقى أبداً، فأمرت ابن أخيها أن يبيعها من الأعراب ممن يُسئ ملكتها ثم ابتع بثمنها رقبة حتى أعْتِقَها، ففعلت. قالت عَمْرَةُ: فلبثت عائشة ما شاء الله من الزمان، ثم أنها رأت فى النوم أن اغتسلى من ثلاث أبؤر يمد بعضها بعضاً، فإنك تشفين فاغتسلت فشفيت.[1] وشرح الحديث يستفاد منه أن عائشة رضى الله عنها لما سحرت من الجارية رغبة أن تعتق تأثرت عائشة من فعل السحر، وبالرؤيا كشف لها العلاج، وهى رؤيا خير، وذلك من فضل الله تبارك وتعالى. ومعنى ثلاث أبؤر: أى جاءت من بئر الماء ويمد بعضها فى بعض أن تكون متقاربة كما كان فى الماضى القريب حيث تتوافر هذه الآبار بكثرة ويمكن

(١) قال شعيب الأرنؤط صحيح وهو ما انفرد بروايته أبو مصعب الزهرى العوطى قاضى المدينة، أحد رواة الموطأ عن أنس بن مالك وقد قالوا إن فى موطئه زيادة نحو مائة حديث عن سائر الموطئات، وهو من آخر الموطئات التى عرضت على مالك رحمه الله تعالى (شرح السنة للبغوى).

وجودها الآن فى أماكن الزراعة وأفضلها تقاربها أى بمسافات متقاربة من بعض لأن ماءها يصل بالبئر الآخر وهذه فائدة.

داء الحسد وخطره

أصل الحسد فى اللغة: بُغض نعمة اللَّه وتمنّى زوالها عن المحسود، أو تحوّلها إلى الحاسد. وهذا يكون من القلب الكافر بواسع فضل اللَّه، وبالغ حكمته، ومحكم تدبيره، وعظيم رحمته، فيتولد من ذلك الضغن والحقد، ثم الكيد والمكر السيئ، ويهيئ بذلك للشيطان فرصة يدخل بها على الحاسد، فيتولاه ويوحى إليه أخبث الكيد وأسوأ المكر، ويؤزه إلى الشر والإفساد أزاً، ويتولى الحاسد ويعاونه بتدبير أنواع الأذى للمحسود ليصل إلى ما تمناه من سلب نعمة اللَّه عليه فإن استطاع أن يأخذها لنفسه، وإلا شفى غيظ قلبه بزوالها. وما كانت الشرور فى العالم، والفساد فى الأرض إلا من هذا البغى والحسد، للأنبياء ولأتباعهم، ولكل من للّه عليه نعمة.

والحسد نعوذ باللَّه من شره أول خطيئة اقترفت فى السماء وأول معصية ظهرت فى الأرض خص بها أفضل الملائكة فعصى ربه وغوى واستكبر، كما قال الله تعالى: ﴿ **أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ؟؟** ﴾.

ولم تهدأ ثائرة حسده، ولا أطفئت جذوة حقده، بإخراج آدم وزوجه من الجنة فطلب أن يتعقبهما وذريتهما فى دار الدنيا بالإغواء والإضلال، قال تعالى: ﴿ **قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾[الإسراء: ٦٢].

فاستجاب الله دعوته فيمن ضل من عباده قال: ﴿ **اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾** ﴾[الإسراء: ٦٣-٦٥].

وأما فى الأرض فإن ابنى آدم، حسد أحدهما أخاه، إذ قربا قرباناً فَتُقُبِّلَ من أحدهما، ولم يتقبل من الآخر، فقتله فأصبح من الخاسرين. فالحسد قد حمله على القسوة، وبلغ به أقصى درجات الحقد والعقوق فقتل أخاه من أجله.

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «دب إليكم داء الأمم من قبلكم البغضاء والحسد، هى الحالقة، حالقة الدين، ولا حالقة الشعر. والذى نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

وحذر منه الرسول ﷺ فقال: «إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»(١).

وقال النبى الكريم أيضاً: «الحسد يفسد الإيمان، كما يفسد الصَّبرُ العسل».

وقال بعض العارفين: الحاسد جاحد لأنه لا يرضى بقضاء الواحد.

وحسبنا فى ذم الحسد وقبحه أنه يفسد الطاعات ويأكل الحسنات ويبعث على الخطايا والبلايا، والله تبارك وتعالى أمر بالاستعاذة من شر الحاسد، كما أمر بها من شر الشيطان الرجيم، وأن الحاسد لا ينال من الناس إلا بغضاً وذماً، ومن الملائكة إلا لعنة، ولا ينال من الدنيا إلا جزعاً وغماً، وعند النزع إلا شدة وهولاً، وفى الموقف إلا فضيحة ونكالاً.

وما خالط الحسد قلباً إلا عجز عن ضبطه وكتمانه وتمرد عليه بظهوره وإعلانه، فيظهر فى كلامه وفلتات لسانه وأسارير وجهه ولو لم يكن من ذم للحسد إلا أنه خلق دنئ، لا يكون إلا للأكفاء والأقارب والأصدقاء، لكان التنزه عنه محمدة والاتصاف به منقصة، فكيف وهو عنصر بالجسم والنفس حتى لقد يفضى بصاحبه إلى التلف من غير نكاية فى عدو ولا إضرار لمحسود. قال معاوية ابن أبى سفيان: «ليس فى خصال الشر أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود».

---

(١) رواه أبو داود.

وقال ابن المعتز: «الحسد داء الجسد».

والحساد أعداء لنعم الله، كما قال النبى ﷺ: «إن لنعم الله أعداء. فقيل ومن هم قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم من فضله».

وقيل للحسن البصرى: أيحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك لأخوة يوسف!!.

وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال: «لم أر ظالماً أشبه بالمظلوم من الحاسد».

الإصابة بالعين وأثرها

وأبرز ما فى الإنسان الذى تعرف به ما انطوت عليه نفسه من الحسد ونتائجه، هو العين، فإن المتوسم يقرأ فيها ما يضمره العدو من كيد وشر، فيحذره ويتقيه، والعين كذلك فيك هى السفير الذى يأتيك بالخير أو الشر، فاحفظ هذا السفير بإيمانك باللَّه الرقيب الحسيب تنج من الحسد السيئ وكيد الحاسد بقوة اللّه.

والاستعاذة فى الآية الكريمة من شر نفس الحاسد، ومن شر عينه فإنه ربما أصاب بهما فعاب وضر، وقد جاء فى الحديث «العين حق» وروى سفيان عن عمرو بن دينار عن عروة عن عامر بن عبيد بن رفاعة أن أسماء بنت عمير قالت: يا رسول اللّه، إن بنى جعفر تصيبهم العين، أفنسترقى لهم؟ قال: «نعم. فلو كان شئ يسبق القضاء لسبقته العين».

وقد قال غير واحد من المفسرين فى قوله تعالى: ﴿**وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ**﴾ [القلم: ٥١] إنه الإصابة بالعين، أرادوا أن يصيبوا بها رسول اللَّه ﷺ فنظر إليه قوم من العائنين وقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حجته، وكان طائفة منهم تمر به الناقة والبقرة السمينة فيعينها ثم يقول لخادمه خذ المكتل والدرهم وائتنا بشئ من لحمها، فما تبرح حتى تقع وتخر. قال الكلبى: كان رجل من العرب يمكث يومين أو ثلاثة لا يأكل، ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الإبل فيقول: لم أر كاليوم إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه

فما تذهب إلا قليلاً، حتى يسقط منها طائفة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين، ويفعل به كفعله فى غيره فعصم الله رسوله وحفظه وأنزل عليه: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [القلم: ٥١، ٥٢].

وقد ثبت فى الصحيح من حديث أبى سعيد، رقية جبريل للنبى ﷺ بقول: « بسم الله أرقيك. من كل شئ يؤذيك. من شر كل نفس أو عين حاسد، اللَّه يشفيك».

وروى أن العضباء ناقة النبى ﷺ لم تكن تُسْبَق فجاء أعرابى على قعود له، فسابق بها فسبقها، فشق ذلك على الصحابة فقال النبى: «حق على الله عز وجل ألا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه».

وروى أنس أن النبى ﷺ قال: «من رأى شيئاً يعجبه، فقال: اللَّه، اللَّه، ما شاء اللَّه، لا قوة إلا باللَّه، لم يضر شيئاً».

قال بعض العلماء: إن الله تبارك وتعالى جمع الشرور كلها فى هذه السورة، وختمها بالحسد، ليعلم أنه أخس الطبائع، وأقبح الصفات نعوذ بالله منه. والنبى الأمين كان كثيراً ما يعوذ الحسن والحسين بسورة الفلق وسورة الناس.

وهذه السورة من أكبر أدوية الحسد، فإنها تتضمن التوكل على الله، والالتجاء إليه، والاستعاذة به من شر حاسد النعمة، ومن شر كل شر، والله هو ولى النعم، وهو الذى إن استعاذ به العبد أعاذه.

وكأن العبد يقول: يا من أولانى نعمته، وأسداها إلىّ، أنا عائذ بك من شر من يريد أن يستلبها منى، ويزيلها عنى، والله حسب من توكل عليه، وكافى من لجأ إليه، وهو الذى يؤمن خوف الخائف ويجير المستجير، وهو نعم المولى ونعم النصير، فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه وانقطع بكليته إليه، تولاه الله وحفظه وحرسه وصانه. ومن خافه واتقاه أمنه مما يخاف ويحذر، وجلب

إليه كل ما يحتاج إليه من المنافع، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۝٣﴾[الطلاق: ٢، ٣].

والله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شئ قدراً، لا يتقدم عنه ولا يتأخر.

ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شئ، ومن خاف أحد غير الله إلا لنقص خوفه من الله عز وجل. فاستعيذوا بالله واعتصموا بحبله المتين، واقرءوا دائماً قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ١ - ٥].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾[الناس: ١-٦].

والله أعلم بمراده.

فائدة: عن عائشة رضى الله عنها قالت: « كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه جمع كفيه ونفث فيهما وقرأ قل هو الله أحد، والمعوذتين، ثم مسح بها ما استطاع من جسده، يبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاثاً»(١).

نسأل الله أن يؤيدنا بروح منه وأن يكلأنا بعنايته ورعايته، وأعوذ بالله بهاتين السورتين، وبجميع كلمات الله التامات، وألوذ بكنفه وجنابه وكنف رحمته الشاملة العامة، من كل ما يكْلمُ الدين أو يعلم اليقين أو يعود فى العاقبة بالندم والألم، ونعوذ بالله من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه أهل السنة.

رقية جبريل عليه السلام

وهى نافعة لإبطال كل أنواع السحر والبرء منه وللعين من الحسد: فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه «أن جبريل عليه السلام أتى النبى ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت؟ قال: نعم. فقال جبريل عليه السلام: بسم الله أرقيك، من كل داء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسدٍ الله يشفيك، بسم الله أرقيك».

* بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم (ثلاث مرات).

---

(١) رواه أهل السنة.

obeikandl.com